دانوا بالاسلام والاتراك الذين نزلوا بلادهم يساكن بعضهم بعضاً ويتزوج بعضهم من بعض لا يفرق الدين بينهم وان العادات الرومية كانت متغلبة الى ذلك العهد فيجلس السلطان على عرشهِ وتجلس زوجتهُ معهُ كما يفعل ملوك اوربا الآن وقد رأى ابن بطوطه ذلك بعينهِ واستغربهُ نخصهُ بالذكر ولكنهُ لم يستخر بهِ مع انهُ كان شديد التقطع كما يظهر من تحقيرهِ المسيحيين بالكفار وباعداء الله

وواضح ايضاً مما تقدم ان السلطان ارخان كان حينئذٍ اميراً من امراء تلك البلاد وليس من اعظمهم لكنهُ عمّر طويلاً فانهُ توفي سنة ١٣٦٠ للميلاد اي بعد نحو ثلاثين سنة من مشاهدة ابن بطوطة لهُ فلا يبعد ان يكون قد فتح بلاداً كثيرة واتسعت مملكتهُ في زمانهِ . وسنأتي على ذكر من خلفهُ من سلاطين آل عثمان واحداً واحداً ونتوخى ذكر ما قالهُ عنهم المؤرخون المعاصرون لم ونقتصر على الامور الكلية

البلغار

حدث في الشهر الماضي ان بلاد البلغار اعلنت استقلالها عن الممالك العثمانية وقد كانت امارة مستقلة في ادارتها ليس للدولة العلية عليها الاَّ السيادة الاسمية . والظاهر انها كانت تطمع في توسيع تخومها فلما رأت ان الشعب العثماني استيقظ ولم يعد في الامكان ان يُنال منهُ شيء اكتفت بما لها واعلنت استقلالها لتضع حدًّا بينها وبين سائر البلاد العثمانية

وبلاد البلغار بين نهر الدنيوب وجبال البلقان مساحتها ٢٤٦٩٩ ميلاً مربعاً ومساحة الروملي الشرقية المضافة اليها ١٣٨٦١ ميلاً وكان عدد سكانهما منذ ثلاث سنوات اربعة ملايين و٣٦ الفاً ثلاثة ارباعهم من الروم الارثوذكس والخمس من المسلمين والباقون من الكاثوليك واليهود . وعاصمتها مدينة صوفية سكانها ٨٢٦٢١ نفساً . وقد قدِّر دخل الحكومة هذا العام ١٢٧٢٣٥٧٠٠ فرنكاً ونفقاتها كذلك وتبلغ قيمة صادراتها نحو ١١٥ مليون فرنك وقيمة وارداتها نحو ١٠٨ ملايين فرنك

وكان فيها منذ سنتين ٤٥٨٤ مدرسة ابتدائية فيها من التلامذة مئتان وخمسون الفاً من الصبيان ومئة وخمسون الفاً من البنات وفيها عدا ذلك ٣٨٥ مدرسة عالية تحوي نحو ٣٧ الفاً من الذكور ونحو ١٧ الفاً من الاناث والتعليم فيها الزامي بين السنة السادسة والثانية عشرة ثم يصير حرًّا . ويظهر لنا مما نرأهُ عنها ومما سمعناهُ من بعض رجالها الذين التقينا

يهم انها جارية في سبيل الارتقاء جرياً حثيثاً بهمّة شديدة وعزيمة ماضية

وقد كانت هذه البلاد جزءاً من ممالك الدولة العلية فانفصلت عنها بمعاهدة برلين سنة ١٨٧٨ بعد الحرب العثمانية الروسية كما سيجيء

واصل سكانها من بلاد الروس نزلوا من ضفاف الفلكا حيث كانت مدينة بلغار عاصمتهم وقطعوا نهر الدانيوب في القرن السادس وتوطنوا في الجانب الشرقي من جزيرة البلقان وغلبوا اهلها الصقالبة الذين سبقوهم اليها ولكنهم اقتبسوا لغتهم وعاداتهم وامتزجوا بهم . وتنصّر امبرهم سنة ٨٤٦ وحاربوا المجر واليونان في القرن التاسع والعاشر وانتصروا عليهم فبلغوا اوج مجدهم حينئذٍ وتلقب امبرهم بلقب القيصر وكانت مملكتهُ تشمل مكدونية وتساليا والبانيا وابيروس . وسنة ٩٧٦ لقب قيصرهم نفسهُ امبراطور الصقالبة ولكن لم يطل الزمن حتى انفصلت بلغاريا الشرقية عن الغربية وانضمت الى مملكة الروم ثم تبعتها بلغاريا الغربية . وجاهرتا بالعصيان بعد ذلك واستقلتا وعادتا مملكة واحدة تناوئ مملكة الروم وظلت كذلك الى ان دخل العثمانيون اوربا واستولوا على ترنوفو عاصمة البلغار سنة ١٣٩٣ ومن ثم ضعف شأن البلغاريين ومرّت السنون وهم يزيدون ضعفاً وانحطاطاً الى ان انشئت المدارس في بلادهم في اواسط القرن الماضي فاستيقظوا من سباتهم . والظاهر ان حكامهم والجنود غير الحظة التي كانت في بلادهم عاملوهم بالقسوة فحدثت الفظائع البلغارية وكنا يعلم ان الحكومة الماضية كانت تجور على رعاياها وتعاملهم بالعنف والقسوة واذا رفعوا رؤوسهم لجأت الى سياسة الحجّاج سياسة السيف كما فعلت في بلاد الشام سنة ١٨٦٠ فكانت نتيجة ما حدث في البلغار ان شهرت روسيا الحرب على الدولة العلية بحجة حمايتها لنصارى الشرق وانتهت الحرب بمعاهدة برلين واستقلال البلغار استقلالاً اداريًّا تحت سيادة الباب العالي واباح للبلغاريين ان ينتخبوا امبرهم فيثبتهُ السلطان بموافقة الدول الاوربية

والامير الحالي الامير فرديناند هو اصغر اولاد البرنس اغسطس امير سكس كوبرج وغوثا ولد سنة ١٨٦١ وقد انتخب اميرًا للبلغار سنة ١٨٨٧ ولم تصادق الدولة العلية على انتخابهِ الاّ سنة ١٨٩٦

والمرجع الآن ان الدولة العلية تعترف باستقلال البلغار ان كانت البلغار تدفع اليها ما يوازي الجزية التي كانت تتقاضاها منها وعن الروملي الشرقية وتدفع اليها ايضاً قيمة السكة الحديدية الممتدة في الروملي الشرقية فلا تكون الدولة قد خرجت بصفقة المغبون وانما تكون قد فقدت سيادة اسميّة لا غير